نصيحة ودية لإصلاح السودان

(الحلقة الأولى)

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله مُحَمَّد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فانطلاقاً من قول الله تعالى : (إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) أقدّم هذه النصيحة المختصرة لأهلنا في السودان مساهمة في علاج ما يمر به السودان من مشكلات في شتى المجالات والله المستعان.

إن الناظر إلى حال السودان ليعتصر قلبه أسىً لما وصل إليه الحال في أمر الدين والأخلاق والدنيا !

بل صرت تجد صنوفاً من المآسي والخلل حتى في أمور الحياة الفطرية التي فطر الله الإنسان عليها وكرّمه وميّزه على الحيوان من حب النظام والتزامه، بدلاً عن العشوائية والفوضى! ومن أراد التأكد فلينظر إلى واقعنا اليوم في تعاملاتنا وممارساتنا: السائق والتاجر و المواطن ووو تجد كثيراً من الناس –إلا من رحم الله– يتصرّف بطريقة أشبه بما يسمى بقانون الغاب! همّه نفسه

ولو على حساب القيم ولو على حساب الآخرين!

وهناك أمور قد لا تعبّر الكتابة عنها لكنك تراها وتقول: سبحان الله! أين عقولنا ؟ أين أخلاقنا؟

البلاد تمر بضوائق اقتصادية رهيبة وفي ظل هذه الظروف بدلاً عن التآلف والتكاتف والإيثار تجد من فئام من الناس ممارسات قبيحة هدّامة تهدم البلاد ولا حول ولاقوة إلا بالله..

الحكومة تكافح لتوفير الوقود والدقيق ووو ثم تجد هؤلاء يستغلون الفرص لأخذ أشياء مدعومة (فوق احتياجهم) لبيعها في السوق الأسود وغيره!

تحصل أزمات في المواصلات فتجد بعض السائقين – هداه الله – يتصرف حسب هواه: يجزيء المسافة الواحدة إلى ٣ أجزاء ، ويزيد في الأسعار ووو من الأمور التي تحير العقل.

صار هذا المبدأ السيء القذر متفشياً في السودان : استغلال الأزمات ؛ بمجرد حصول أزمة في شيء ما يهرع الكثير من أصحاب الشأن (تاجر.سائق.....) إلى رفع الأسعار بصورة خيالية !

والله إن هذه الممارسات لا تمت إلى الإسلام أو الأخلاق بصلة .

وإن خطورة مثل هذه الممارسات – إضافة لمخالفتها للشريعة – تكمن في ضرب الأخلاق والقيم والمروءة والتكاتف الذي عرف به الشعب السوداني في مقتل!

وبالتالي تنتقل تلقائياً إلى الأجيال القادمة ، وحينها ؛ كبر على السودان أربعاً.

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت * فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

و أخطر من هذا أن مثل هذه التصرفات عاقبتها وخيمة قد تصل إلى هدم وزوال الدولة بأكملها !!!

العلاج لمشاكل السودان بإذن الله :

أولا: الرجوع إلى الدين الصحيح والتمسك بهدي النبي ﷺ وصحبه :

يقول الله سبحانه وتعالى : (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ *أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)

ويقول النبي ﷺ ناصحاً أصحابه رضوان الله عليهم : " إِنَّها سَتَكُونُ فِتْنَةٌ " . فَقَالوا : كَيْفَ لَنا يا رسولَ اللهِ ؟ ! أوْ كَيْفَ نَصْنَعُ ؟ قال : " تَرْجِعُونَ إلى أَمْرِكُمُ الأولِ " [السلسلة الصحيحة للألباني].

قال الإمام مالك رحمه الله : (لن يُصلِحَ آخرَ هذه الأمة إلا ما أصلَحَ أولَها) [اقتضاء الصراط المستقيم]

قال الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله : (ولا سبيل إلى الرجوع إلى الحضارة الإسلامية وإلى ما فيها من الخير العظيم والمميزات العظيمة لمن اعتنقها وأخذ بها –لا سبيل إلى ذلك– إلا بالرجوع إلى ما كان عليه سلفنا، إلا بالرجوع إلى تحكيم شريعة الله، والاستقامة على أمر الله، والتعاون على البر والتقوى، فبذلك يعود للمسلمين مجدهم، ويعود لهم عزهم الغابر، ومجدهم السالف، وينصرون على أعدائهم، ويمكنون في الأرض كما مكن أسلافهم.)[المصدر: موقع الشيخ ابن باز على الانترنت]

وحتى يتمسك الإنسان بالدين الصحيح فلا بد أن يتعلمه من مصادره الصحيحة وهي الكتاب والسنة الصحيحة المحكمة وما كان عليه السلف الصالح وهم الصحابة وتابعوهم كالأئمة الأربعة وغيرهم ممن سار على نهجهم.

ولابد من التمسك الصحيح بهدي النبي ﷺ في كل الأمور لأنه للأسف تجد بعض الناس إذا صلى في المسجد يظن هذا هو التدين المطلوب فحسب! ولا يبالي بأمر التوحيد والعقيدة ولا يبالي بالوقوع في البدع والمعاصي!

وللأسف فإن الطوائف الدينية في السودان سبب رئيس في تربية الناس على الجهل بالدين الصحيح لما تربيهم عليه من الوقوع في بعض الممارسات الشركية كالتعلق بمشايخ الطوائف ودعائهم من دون الله وكالطواف بالقبور والتمسح بها وتربيهم أيضا على البدع كعمل الذكر المبتدع كالرقص وماشابه ذلك وكالموالد وغيرها.

ولعل هذه التبعية العمياء وعدم إعمال الدين والعقل أدت إلى الفوضى الحاصلة حتى في أمور الدنيا!

ثانياً : البعد عن البدع والتحزب والاجتماع على منهاج النبوة :

قال النبي ﷺ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) [متفق عليه]

البدع خطيرة فهي تهدم الدين وتجعل معتنقيها يستبدلون بها سنة النبي ﷺ ، والناظر إلى حال الأمة منذ ظهور الفرق كالخوارج والرافضة وغيرها وإلى يومنا هذا يجد أن هذه البدع وهذه الفرق كانت سبباً في تفرق الأمة وبعدها عن دينها وعن هدي نبيها ﷺ ، وفي العصر الحديث اتسعت الجراحات بظهور الأحزاب السياسية سواء المتسمية بأسماء إسلامية أو أسماء يسارية كالأحزاب العلمانية والشيوعية وغيرها ممن تأثر بأفكار الكفار.

وفي هذا السودان لم تقدم هذه الأحزاب والفرق والطوائف إلا الضياع والتفرّق والتشتت وقد فاق عددها ال ١٥٠ حزباً وكل هذا من مكائد اليهود الذين يعملون بمبدأ : فرّق تسد ؛ واليهود منذ القدم ما فتئوا يكيدون للإسلام وأهله وهم الذين أسسوا نواة الفرق الإسلامية المخالفة للسلف منذ القدم ، و هم الذين وقفوا خلف الجماعات الإرهابية اليوم ، وهم سبب كل ضياع للأخلاق والقيم بما يستعملونه من أدوات[1] ومكائد لتفتيت الإسلام والمسلمين ؛ ومن ذلكم شتى صنوف الحرب الفكرية ودعاوى الحرية و تحرير المرأة وفصل الدين عن الدولة والديموقراطية والثورات والإنقلابات، حتى صار كثير من الناس كأنه مسلوب العقل والإرادة يجري خلف مايدمر دينه ووطنه ولا يرعوي ولا يتعظ!

من أخطر الخطر ديموقراطية الغرب الزائفة :

إن من أعجب الأمور أن يبحث المسلمون عما فيه عزهم وتقدمهم في أفكار الغرب الكافر ويتركون كتاب ربهم عزوجل الذي قال عنه سبحانه :(ما فرطنا في الكتاب من شيء) (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) ويتركون سنة نبيهم ﷺ القائل : " تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله " [أخرجه الإمام مالك وحسنه الألباني]، وكثير من المسلمين يدندنون حول الديموقراطية إذا أرادوا الحديث عن القيم!

---

[1] - يرجى الاطلاع على (بروتوكولات حكماء صهيون) وهي خطط كتبها القوم قبل سنين عديدة والواقع اليوم يثبت حصول كثير منها على أرض الواقع! ويرجى الاطلاع على الكتب التي بينت حال (الماسونية) وخطرها على الدين والقيم .

ويضربون الأمثلة بما لدى الغرب اليوم من تطور في الناحية الحياتية بشكل عام وبعض القيم ، ويقال لهؤلاء :

إن الإنسان إذا بلغ ما بلغ من التقدم في أمور الدنيا وحاز ما حاز من الأموال ولم يؤمن بالله فهذا لن يدخله الجنة وكما قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ)

وأيضاً فإن الإسلام حث على العمل النافع والإنتاج ويكفي حديث : (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز) [أخرجه مسلم] في حث المسلمين على العلم والعمل في أمر الدين والدنيا.

لكن لا يمكن أن يخلد المرء إلى البطالة والتقليد وينتظر التقدم!

و أي خلق حميد يوجد عند بعض الكفار فإنه لا محالة يوجد في الإسلام وزيادة وأعظم وأكمل منه! ، وإني لأعجب من بعض المسلمين يتركون الاقتداء بسيد الخلق أجمعين صاحب أفضل الصفات البشرية وأفضل الأخلاق نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم ويهرعون إلى التعلق بالكفار[٢] بشتى مهنهم وأعمالهم وأوضاعهم من تجار و مغنيين وموسيقيين ولاعبي كرة أو من الداعرين والعاهرين والمثليين والمخنثين!

و للأسف فإن أعداء الإسلام سلكوا عدة سبل في محاولاتهم لإضلال المسلمين كالتنصير وكالحروب الفكرية بشتى صورها وكالحروب الأخلاقية وغيرها، و تعتبر الديموقراطية وما تبعها من أمور كالحريات المطلقة ودعاوى تحرير المرأة من هذه الخدع لإبعاد المسلمين عن تحكيم شرع الله ولإضعافهم!

ولو حكمنا عقولنا :

فمن الذي قتل الهنود الحمر وأبادهم بشتى أنواع الإبادة ؟! (يقدّر العدد بالملايين)

ومن الذي استباح بلدان إفريقيا وآسيا واستعمرها ونهب خيراتها واسترق بعض أهلها وذهب بهم إلى بلادهم؟!

ومن الذي احتل فلسطين وفعل فيها ما فعل بأهلها؟!

ومن محى مدينتين بكل ما فيهما من مظاهر الحياة في اليابان ؟!

ومن الذي عذب وقتل ملايين المسلمين في البلدان الشيوعية ؟!

بل من الذي يقف خلف الجماعات الإرهابية كداعش وغيرها؟!

ومن الذي يتدخل في شؤون بلدان المسلمين ويثير الصراعات ثم يبيع الأسلحة للأطراف المتحاربة؟!

والقائمة تطول لكن هذه إشارة لعله تحصل إفاقة ورجعة إلى ديننا الحنيف دين الرحمة والقيم والأخلاق...

---

[٢] - إذا كانت هذه حالنا اليوم فكيف إذا خرج الدجال؟! ومعه أصناف من الفتن يأمر السماء فتمطر ويأمر الأرض فتنبت!!!

و هذه صور مظلمة من هوان وذل المرأة عند الأمم غير الإسلامية عبر التاريخ ذكرها الشيخ العلامة ربيع المدخلي حفظه الله في كتاب (الحقوق والواجبات على الرجال والنساء في الإسلام)

لعلها تفيد المخدوعين بدعاوى ظلم الإسلام للمرأة وأن الغرب أكرمها وما شابه ذلك :

قال حفظه الله :(قد ذكر القرآن الكريم صوراً كثيرة من الجاهليات وأخلاقهم من وثنيين وأهل الكتاب .

ومنها ظلم العرب للمرأة واحتقارهم لها وسقوط منزلتها عندهم والتأفف والتضجر منها منذ ولادتها ووأدها طفلة وفتاة (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون) النحل (٨-٩) .

وهي عند الأمم الأخرى أسوأ حالا منها عند العرب فكانت الأمة اليونانية تنظر إليها بأنها من سقط المتاع ، ولم يكن لها أي حقوق أهلية وكانت تباع وتشترى في الأسواق .

وفي الحضارة الرومانية كان للرجل السيادة المطلقة وله الحقوق الكاملة على أهله فله أن يحكم على زوجته بالقتل لأدنى تهمة وله أن يقتل أولاده أو يعذبهم دون أي مسئولية .

وهي عند الهنود في غاية الهوان والذل وإذا مات زوجها فعليها أن تحرق جسدها على مقربة من جسده .

وقد تفرح بهذا المصير تخلصاً من الاضطهاد والهوان الذي تلقاه .

وهي عند اليهود لعنة لأنها أغوت آدم ، وعند بعض طوائفهم لأبيها الحق أن يبيعها ولا يجالسونها ولا يؤاكلونها إذا حاضت ولا تلمس وعاء حتى لا ينجس .

وقرر النصارى الأوائل أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه وأعلنوا أن المرأة باب الشيطان وأن العلاقة بها رجس ، وعقد الفرنسيون عام ٥٨٦م مؤتمراً للبحث هل تعد المرأة إنساناً أو غير إنسان وهل لها روح أو ليس لها روح ، وإذ كان لها روح فهل هي روح حيوان أو روح إنسان ، وقرروا أخيرا أنها روح إنسان ولكنها خلقت لخدمة الرجل فحسب .

وظلت النساء طبقا للقانون الإنجليزي العام حتى منتصف القرن الماضي تقريباً غير معدودات من "الأشخاص" أو المواطنين الذين اصطلح القانون على تسميتهم بهذا الاسم ، لذلك لم يكن لهن حقوق شخصية ولا حق في الأموال التي تكسبها ولا حق في ملكية شيء حتى الملابس التي كن يلبسنها.

بل القانون الإنجليزي حتى عام ١٨٠٥م كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته وقد حدد ثمن الزوجة بستة سنتات (نصف شلن)...

هذه هي أحوال النساء عند الأمم غير الإسلامية .

أما الإسلام فقد انتشل المرأة من وهدتها وبدد عنها كوابيس الظلم والظلام والإذلال والاستعباد وأنزلها منزلاً كريماً ومكانة لا نظير لها عند الأمم سواء كانت أماً أو بنتاً أو زوجة أو أختاً .

فقرر الله إنسانيتها من فوق سبع سماوات فقال (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) .

ولم تحتج المرأة المسلمة إلى عقد مؤتمرات لإثبات إنسانيتها وحقوقها فقد قررها الله ورسوله وآمن بها المسلمون .

ولها حق الهجرة والنصرة والحماية من المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولاهم يحلون لهن) .

وحرّم [٣] الله من يؤذي المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا).

وتوعد من يفتن المؤمنين والمؤمنات عن دينهم بعذاب جهنم فقال : (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) .

وأمر الله رسوله الكريم أن يستغفر لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات فقال تعالى : (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات).

وإذا أراد المنحلون وأعداء الإسلام أن يعرفوا شيئاً عن منزلة المرأة في الإسلام فليمدوا أبصارهم إلى تشييع جنازتها والصلاة عليها ولعل مما يدهش الكفار والمنافقين أن يروا مئات الآلاف في المسجدين الشريفين تنتظم صفوفهم للصلاة على جنازة امرأة مؤمنة أو طفلتها .

فهذه مزايا أعطاها الإسلام للمرأة المؤمنة يستحيل مثلها في أي ديانة محرفة أو مخترعة أو قوانين مزيفة مهما بالغت في تكريم المرأة كما تزعم ...)

وهنا أوجه نصيحة مشفق إلى النساء وأولياء أمورهن أن يحرصوا على تعاليم الإسلام ومنها ما يتعلق بحجاب المرأة وبعدها عن مخالطة الرجال وعن الخلوة بهم ، والحذر كل الحذر من دعاوى تحرير المرأة مثل اتفاقية سيداو وماشابهها فإنها تجعل المرأة سلعة يعبث بها كل مفسد!

وإن المرء ليحرص كل الحرص على أشيائه الثمينة ويحفظها أشد الحفظ كالذهب مثلا، وبلا شك فأولى من ذلك أن يحافظ على عرضه!

---

[٣] لعلها (وجرّم)

ثالثاً: التحلي بالأخلاق الإسلامية الحميدة :

ولعل هذا الأمر يعرفه كثير من المسلمين أن الإسلام جاء بالأخلاق الحميدة وحث عليها، لكن حتى نجني الثمار لا بد من التطبيق العملي ، وقد جاءت عدة أحاديث نكتفي ببعضها :

قال النبي ﷺ :(أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا ، وخيارُكم خيارُكم لأهلِه) [صحيح الترغيب والترهيب للألباني]

وقال ﷺ : (إنَّ المؤمِنَ ليُدْرِكُ بِحُسْنِ الخُلُقِ درجَةَ القائِمِ الصائِمِ) [صحيح الجامع]

وإنه لمن المؤسف أنك تجد اليوم الكثير من منتسبي الأحزاب والجماعات الإسلامية يتحلون بصفات وأخلاق تخالف أخلاق الإسلام السمحة حتى صاروا سبباً لصد الناس عن سماحة الإسلام فوجدها الكفار و العلمانيون فرصة لبث سمومهم، و لكن للأسف لأن الكثير من الناس تركوا صراط الله المستقيم واتبعوا السبل والأحزاب والطوائف نتجت هذه الأخلاق الفاسدة والسيئة.

ولو سار المسلمون على الأخلاق الإسلامية وحكموا شرع الله في كل شؤونهم فستنصلح أمورهم بإذن الله في كل الشؤون سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غيرها.

وإنه لمن العار أن يحدثك من يدعو إلى العلمانية والشيوعية وغيرها من الأفكار المستوردة من الغرب عن الأخلاق، وأساس دعوتهم يقوم على مخالفة الأخلاق الحميدة و على الحريات المزعومة! ويرفع من شأن الملحدين والمرتدين عن الإسلام ويثني عليهم ويسعى إلى تلميعهم وإشهارهم !

التحذير من اتباع الهوى :

اتباع الهوى يردي الإنسان وللأسف فأعداء الإسلام و بعض الأحزاب والجماعات الإسلامية يستغلون الناس ليربطوهم بهم من هذه الناحية حيث يعطوهم ما تهوى أنفسهم ولا يقدمون لهم النصح الصحيح ولكن هذا لا يعتبر عذرا لمن تابعهم لأن الله عزوجل أرسل لنا رسوله لنتبعه لا لنتبع هؤلاء!

بإذن الله أكمل الكلام في الحلقة القادمة وهي الأخيرة بذكر عادات وأمور تحتاج إلى وقفة ومراجعة حتى نرتقي ببلدنا السودان بإذن الله إلى مافيه الخير في الدنيا والآخرة. والله أسأل أن يحفظ بلادنا وسائر بلاد المسلمين من كل سوء.

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وآله وصحبه أجمعين

(سائر على خطى السلف)

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠ م